

الوحدة السابعة

مقومات أمن الدولة والمجتمعات - 2

أهداف الوحدة

عزيزي الدارس يتوقع منك عند نهاية دراسة هذه الوحدة أن تحقق الأهداف

الآتية:-

- ١ - إدراك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم مقومات أمن الدول والمجتمعات.
- ٢ - التعرف على ماهية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضوابطه.
- ٣ - إدراك تميز المملكة العربية السعودية بهذه الشعيرة المباركة.
- ٤ - القدرة على الرد على المشككين بهذه الشعيرة وأهميتها.
- ٥ - التعرف على أن إعداد القوة من مقومات أمن الدولة والمجتمعات.
- ٦ - التعرف على ماهية القوة المطلوبة للدولة.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

معنى المعروف والمنكر :

المعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات ^(١). وقيل: هو كل ما عرف في الشرع من خير وطاعة مندوباً كان أو واجباً، وسمي معروفاً لأن العقول السليمة تعرفه ^(٢).

المنكر: ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً ^(٣). وقيل: كل قول وفعل وقصد قبحه الشارع ونهى عنه ^(٤).

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

اتفق علماء الأمة على القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما أثر عنهم من الأقوال مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة، قال ابن حزم: اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم ^(٥). وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104]، في الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت في الكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها ^(٦).

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل الأعمال وأشرفها، لما فيها من المزايا العديدة والفضائل الحميدة، ولما فيه من الخير العظيم للفرد والمجتمع، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

1. سبب في الخيرية:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة، أمة محمد (صلى الله عليه وسلم)، خير أمة أخرجت للناس، وذكر من أسباب هذه الخيرية أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما في قوله سبحانه

(١) لسان العرب ، ابن منظور، 240/9.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، البيانوني، ص 7. ط2 .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ابن سعدي، 1/406.

(٤) الحسبة في الإسلام ، الشهاوي، ص 9.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، 4/132.

(٦) فتح القدير، 1/368.

وتعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110]، في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر، زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم^(١). ومما يؤكد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للخيرية، ما رواه الإمام أحمد عن درة بنت أبي لهب قالت: قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله، وأمرهم بالمعروف، وأنهارهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم»^(٢).

وقال ابن سعدي في تفسيره: هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحاً، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليماً، وإرشاداً، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان^(٣).

2. سبب في الفلاح:

وكما أن الله سبحانه جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبباً لخيرية هذه الأمة، فقد جعله أيضاً سبباً للفلاح لمن قام به، كما في قوله سبحانه وتعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104]، والفلاح مكسب عظيم للإنسان فهو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، فلاح في الدنيا، وفلاح في الآخرة، فلاح في الدنيا بالحياة الطيبة، بما فيها من سعة الرزق، وصحة البدن، وأمن في الوطن، وصلاح في الأهل والولد، وغير ذلك من جوانب الحياة الطيبة، وفوق ذلك كله الفلاح في الآخرة بالفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، ورضوان من الله، ولذة النظر إلى وجهه الكريم، والنجاة من العذاب الأليم، فياله من فضل عظيم يحصل عليه الإنسان بقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 4/11110.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم 26888.

(٣) تفسير ابن سعدي 409/1.

3. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص صفات النبي (صلى الله عليه وسلم):

أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات النبي (صلى الله عليه وسلم) التي وصف بها في الكتب السابقة، كما في قوله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ...} [الأعراف: 157]، وتظهر أهمية هذه الصفة إذا علمت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مدار رسالة الرسل التي بعثوا من أجلها، فهم يدعون إلى كل خير، ويحذرون من كل شر، فهو زبدة الرسالة ومدار البعثة.

4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص صفات المؤمنين:

كما تقدم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أخص صفات النبي (صلى الله عليه وسلم)، فهو أيضاً أخص أوصاف أتباعه المؤمنين، الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71].

6. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنجاة من الهلاك:

إنما تهلك المجتمعات، ويحق عليها العذاب، إذا كثر فيها الفساد، وطغى العباد، فحق عليها القول بالتدمير، يقول سبحانه: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: 16].

يقول ابن كثير: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب، وهو قوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [الأنعام: 123]، وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والربيع بن أنس^(١).

والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم سبب نجاة المجتمع من الهلاك الذي ربما أصابه بسبب الذنوب الحاصلة، وتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى بالمعاصي من ارتكاب المحرمات، والإعراض عن الواجبات، وقد ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك مثلاً بديعاً حين قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، 48/3.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، حديث رقم 2361.

والقائم على حدود الله هو المطيع لله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما الواقع فيها فهو العاصي الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وفعله هو سبب هلاك المجتمع، كما أن من حرق السفينة كان سبباً في هلاك كل من كان في السفينة، ولكن إذا وجد في السفينة من يأخذ على يديه ويمنعه من فعله الأحمق، كان سبباً في نجاة ونجاة كل من في السفينة، وكذلك إذا وجد في المجتمع من يأخذ على أيدي العصاة فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، يكون سبباً في نجاة هذا المجتمع من الهلاك العام الذي يشمل الصالح والطالح، كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]، ورد في صحيح البخاري من حديث زينب بنت جحش (رضي الله عنها)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل عليها فزعا يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه). وحلق بإصبعه وبالي تليها، فقالت زينب : فقلت : يا رسول الله، أهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم، إذا كثر الخبث)^(١).

ولا يكثر الخبث في مجتمع من المجتمعات إلا إذا قلَّ فيه أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومما يدل على نجاة الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أراد الله إهلاك الظالمين ما قصه الله سبحانه وتعالى علينا في محكم كتابه عن بني إسرائيل حين قال: ﴿وَسُئِلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا...﴾ [الأعراف: 163].

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات حال ثلاثة أصناف من بني إسرائيل، حينما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن الاصطياد في يوم السبت، فصنف أهملوا النهي وتحايلا في الاصطياد في هذا اليوم، ووقعوا فيما حرم الله سبحانه وتعالى عليهم، وصنف آخر لم يرتكبوا ما حرم الله عليهم فاعتزلوا ولم يأمرؤا ولم ينهؤا، بل قالوا للمنكرين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، أما الصنف الثالث فهم مع اجتنبهم الحرم وامتثال أمر الله سبحانه وتعالى فيه، لم يسكتوا على فعل الصنف الأول، وإنما بادروا بالإنكار عليهم ونهيههم عن ارتكاب المحرم محتجين بقولهم: ﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164]؛ فماذا كان جزاء كل صنف من هذه الأصناف؟ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَبْغَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165]، أنجى الله سبحانه وتعالى الذين ينهون عن السوء وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، 3402.

المنكر، وأهلك الله الذين ظلموا وهم الذين وقعوا في الحرام، وأما الذين سكتوا فقد سكت الله سبحانه وتعالى عنهم ولم يبين حالهم، وقد اختلف المفسرون في مآلهم^(١)، والشاهد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنجاة إذا نزل العذاب على قوم.

6. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المكفريات:

من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده أن جعل لهم من الأعمال الصالحة ما يكون سبباً لتكفير الذنوب، كالصلاة والصوم والحج ونحوها، ومن هذه المكفريات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما في الصحيحين من حديث حذيفة (رضي الله عنه) قال: كُنَّا عِنْدَ عُمرَ (رضي الله عنه)، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ؟ قَالَ: قَالَ قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكْفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(٢).

أثر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمن الأمم

إن في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثاراً خطيرة على الناس، سواء على مستوى الأمم أو الجماعات أو الأفراد، والذي قد ينتج عنه إختلال الأمن، وهلاك الأمم، ومن تلك الآثار الخطيرة على سبيل المثال، ما يلي:

1. استحقاق اللعنة:

وردت اللعنة في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) على آثام عظيمة - والعياذ بالله - ومما وردت عليه اللعنة في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما ذكر الله سبحانه عن الذين كفروا من بني إسرائيل حين قال: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنفال: 78-79]، وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (... كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرَّنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرَّنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا)، وزاد في آخره من وجه آخر: (أَوْ لِيُضْرَبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لِيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمُ)^(٣).

2. تعريض النفس والغير للعقوبة:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 2/258-259.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، حديث رقم 3393.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، حديث رقم 10268.

إن من الأمور الهامة في تحقيق الأمن، أن يبذل الإنسان جهده في التزام أوامر الله والبعد عن معاصيه سبحانه وتعالى، لكي يكون آمناً من عقوبته، لأن التعرض للعقوبة سواء في النفس أو الأهل أو المال أو نحوه، يُعد من فقدان الأمن، وكذلك فإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في التعرض لعقاب الله سبحانه وتعالى، وهذا العقاب ربما كان عاماً، كما ورد في الحديث الذي رواه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يَغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعْمَهُمْ بِعِقَابِهِ)^(١).

وقال ابن العربي: (وهذا الفقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يجعل الله عقوبته، ومنا ما يمهّل بها إلى الآخرة، والسكوت على المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات وركوب الذل والظلمة للخلق)^(٢).

وقال بلال بن سعد: (إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا أهلها، وإذا أعلنت ولم تغير ضرت العامة)^(٣).

وقال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله): (كان يقال: إن الله تعالى لا يعذب العامة بذنوب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا كلهم العقوبة)^(٤).

وإن الضرر الذي يحصل على العامة بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له صور عديدة، فقد يكون بتسلط الأعداء عليهم، أو تسلط بعضهم على بعض، وقد يكون في أنفسهم أو في أموالهم أو أهلهم، وكل ذلك فقدان أو نقص في الأمن الذي ينشُدونه، ولا شك أن الإنسان الذي يبحث عن الأمن يحرص أشد الحرص على اجتناب ما يسبب له زواله.

3. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إعانة للمجرمين على جرائمهم:

إن المجرمين في كل مجتمع أو بلد من البلدان هم المعتدون على الأنفس أو الأموال أو الأعراس، وهم سبب رئيس في الإخلال بالأمن، ومن الطبيعي أن كل مجرم تتدرج به الجريمة شيئاً فشيئاً حتى تصل

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم 17، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) عارضة الأحوذى لشرح صحيح الترمذي 15/9.

(٣) حلية الأولياء، أبو نعيم، 222/5، وقال رواه ابن المبارك عن الأوزاعي، وابن المبارك في الزهد رقم 1350.

(٤) موطأ الإمام مالك 1820. والزهد لابن المبارك رقم 1351. ومسنند الحميدي 131/1.

إلى حد الإخلال بالأمن، وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شائعاً في المجتمع كان عاملاً مهماً في عدم نمو الجريمة وتكاثر المجرمين فيه.

أما إذا فُقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو ضعف، فإن المقدم على الجريمة الصغيرة يمضي قدماً في فعله آمناً من الردع والعقوبة، وكما يقولون: (من أَمِن العقوبة أساء الأدب) حتى يصل في جريمته إلى ما هو أشد وأخطر.

نشأة جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية

مما تميزت به هذه الدولة المباركة قيامها على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وعنايتها وفقاً لذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو واجب شرعي قبل أن يكون مهمة أمنية تقوم بها الدولة.

ولقد كانت عناية المملكة بالحسبة وقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل نظامي من عهد المؤسس الملك عبد العزيز رحمه الله، عندما فتح مدينة الرياض سنة 1319هـ، حيث كان العلماء يقومون بواجبهم في الاحتساب فرادى بإذن من الملك المؤسس، وكان من أبرزهم: الشيخ عبدالعزيز بن عبد اللطيف الذي كان يقوم بالحسبة تطوعاً واحتساباً لوجه الله في مدينة الرياض، وحين استقرت البلاد، واتسع الحكم كلف الملك عبد العزيز الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف - رحمهم الله جميعاً - بالقيام على ولاية الحسبة، وأن يباشر أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نطاق أوسع، وزوّده بأعضاء يساعده على هذا العمل، كفضيلة الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد الرحمن بن إسحاق آل الشيخ، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمهم الله جميعاً، وكلما توسعت البلاد واطّرد نموها أمد الملك عبد العزيز المحتسبين بالأعوان؛ وعقب وفاة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف، كلف الملك عبد العزيز الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ بأعمال الاحتساب عام 1345هـ، وصار رئيساً للهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة نجد بما فيها القصيم وحائل وسائر بلدان العارض، ثم ضم إليه المنطقة الشرقية والحدود الشمالية ووادي الدواسر، وكان المقر الرئيس للهيئة في مدينة الرياض، ولها فروع في المدن الكبرى. ولما انضمت عسير والأحساء وحائل إلى الدولة السعودية أنشئ لكل منها فرع للهيئة، وكان الملك عبد العزيز لا يكاد يسمع عن قرية ليس فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا وجه إلى القائم فيها كتاباً يأمره بتعيين رجال من أهل الصلاح والتقوى للاحتساب فيها، وبعد أن ضم الملك عبد العزيز - رحمه الله - الحجاز عام 1344 هـ إلى المملكة بدأ التفكير في أمر الاحتساب، وتعين رجال يتولونه، وفي صفر من عام 1346 هـ أنشئت الهيئة في مكة، وقد كانت تخضع لها البلدان المجاورة كجدة والطائف وغيرها، أما المدينة المنورة فقد كانت هيئتها شبه مستقلة لكنها تخضع في رئاستها العليا إلى نائب جلالة الملك في الحجاز الأمير فيصل بن عبد العزيز آنذاك، وفي عام 1372 هـ صدر نظام يقضي بربط الهيئات في الحجاز بالنيابة العامة، ثم بمجلس الوزراء، وتم تعيين الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ رئيساً لها، ومرجعه المباشر النائب العام لجلالة الملك في الحجاز، وبعد إلغاء النيابة العامة هناك، صار الرئيس يرجع إلى رئاسة مجلس الوزراء مباشرة، وضم إليه النظر في هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جنوب المملكة. وفي عهد الملك سعود - رحمه الله - عام 1373 هـ، صدرت الأوامر بالتوسع في إنشاء الهيئات، وإيجاد الوظائف والاعتمادات اللازمة لها في كل من: منطقة عسير،

ومنطقة جازان، ومنطقة الباحة، ومنطقة تبوك، ومنطقة نجران، ومنطقة القنفذة، ومنطقة أملج، وقد كانت كل هذه المناطق تابعة لرئاسة الهيئات في الحجاز.

وفي عهد الملك خالد - رحمه الله - رأى أن من الأصلح ضم كل من الهيئة في الحجاز، ونجد في هيئة واحدة، فصدر المرسوم الملكي ذو الرقم م/ 64 وتاريخ 1396/9/1 هـ القاضي بتوحيدهما تحت مسمى: الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتم تعيين معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - رئيساً لها بمرتبة وزير^(١).

واجبات الهيئة:

حددت اللائحة التنفيذية لنظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقرار ذي الرقم (2740) بتاريخ 1407/12/24 هـ واجبات الهيئة، ومن هذه الواجبات تتحدد مهمة عضو الهيئة العامل في الميدان، والواجبات على النحو التالي:

أولاً: حثُّ الناس على التمسك بأركان الدين الحنيف من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وعلى التحلي بآدابه الكريمة، ودعوتهم إلى فضائل الأعمال المقررة شرعاً كالصدق والإخلاص، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانات، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ومراعاة حقوق الجار، والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، ومساعدة العجزة والضعفاء، وتذكير الناس بحساب اليوم الآخر، وأن من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها.

ثانياً: لما كانت الصلاة هي عمود الدين وسنامه، فيتعين على أعضاء الهيئة مراقبة إقامتها في أوقاتها المحددة شرعاً في المساجد، وحث الناس على المسارعة إلى تلبية النداء إليها، وعليهم التأكد من إغلاق المتاجر، والحوانيت، وعدم مزاوله أعمال البيع خلال أوقات إقامتها.

ثالثاً: مراقبة الأسواق العامة، والطرق والحدائق، وغير ذلك من الأماكن العامة، والحيلولة دون وقوع المنكرات الشرعية الآتية:

- ١ - الاختلاط والتبرج المحرمين شرعاً.
- ٢ - تشبه أحد الجنسين بالآخر.
- ٣ - تعرض الرجال للنساء بالقول أو الفعل.
- ٤ - الجهر بالألفاظ المخلة بالحياء، أو المنافية للآداب.

(١) ولاية الحسبة في المملكة العربية السعودية ، توفيق بن عبدالعزيز السديري، السجل العلمي لمؤتمر التطبيقات المعاصرة للحسبة في المملكة العربية السعودية ص49.

- ٥ - تشغيل المذياع، أو التلفزيون، أو المسجلات وما مائل ذلك بالقرب من المساجد أو على أي نحو يشوش على المصلين.
- ٦ - إظهار غير المسلمين لمعتقداتهم، أو شعائر مللهم أو إظهارها.
- ٧ - عدم الاحترام لشعائر الإسلام وأحكامه.
- ٨ - عرض أو بيع الصور، والكتب، أو التسجيلات المرئية، أو الصوتية المنافية للآداب الشرعية، أو المخالفة للعقيدة الإسلامية اشتراكاً مع الجهات المعنية.
- ٩ - عرض الصور المجسمة أو الخليعة، أو شعارات الملل غير الإسلامية كالصليب، أو نجمة داود، أو صور بوذا، أو ما مائل ذلك.
- ١٠ - صنع المسكرات أو ترويجها أو تعاطيها اشتراكاً مع الجهات المعنية.
- ١١ - منع دواعي ارتكاب الفواحش، مثل الزنا واللواط والقمار، أو إدارة البيوت أو الأماكن لارتكاب المنكرات والفواحش.
- ١٢ - منع البدع الظاهرة كتعظيم بعض الأوقات، أو الأماكن غير المنصوص عليها شرعاً، أو الاحتفال بالأعياد، والمناسبات البدعية غير الإسلامية.
- ١٣ - أعمال السحر والشعوذة والدجل لأكل أموال الناس بالباطل.
- ١٤ - تطيف الموازين والمكاييل.
- ١٥ - مراقبة المسالخ، للتحقق من الصفة الشرعية للذبح.
- 16 - مراقبة المعارض ومحلات حياكة ملابس النساء.

الرابع إعداد القوة

من العوامل الرئيسة في تحقيق أمن المجتمعات والأمم وجود القوة الرادعة التي تتصدى لمن يسعى للإخلال بالأمن من الداخل أو الخارج، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى أمر عباده المؤمنين بإعداد القوة لمواجهة أعدائهم، فقال سبحانه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: 60]، ومن المعلوم أن الأعداء من الخارج هم مصدر من مصادر الخوف وعدم الأمن، فهم إن تمكنوا من المسلمين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة من القتل والسلب والنهب والتخريب والإخراج من الديار، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن خوف المؤمنين من أعدائهم، بقوله: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: 26]، إذاً فالقوة أداة مهمة لتحقيق الأمن من جهة العدو الخارجي، فإذا كانت القوة في الزمن الماضي تتمثل في السيف والرمح والبنادقية وكذا الخيل والإبل، مع وجود الرجال الشجعان المقبلين غير المدبرين، فإنها اليوم ليست كذلك، فالأمة اليوم بحاجة إلى قوة معاصرة تتمثل في الطائرات والصواريخ، وفي الدبابات والمدركات، مع البراعة في التقنيات العسكرية الحديثة، فكثير من الحروب اليوم تدار عن بعد بطائرات من دون طيار مثلاً أو بالصواريخ بعيدة المدى، وأصبحت حروب اليوم أكثر فتكاً وأشد تنكيلاً، فكان لزاماً على الأمة أن تسعى مجتمعة جاهدة لتسليح نفسها وتحقيق أمنها، فإن الأمة الضعيفة تستباح دماء أهلها، وتنتهب ثراواتها، وتغتصب أراضيها.

وإن مصدر الخوف على الأمة والمجتمع ليس فقط من العدو الخارجي، بل قد يكون من الداخل من أولئك المفسدين والمنافقين الذين يتربصون بالأمة من داخلها، وكما أن العدو الخارجي بحاجة إلى قوة رادعة، فإن العدو الداخلي بحاجة إلى قوة رادعة أيضاً، وهذا النوع من العدو يتولى شأنه بما يعرف في الدول بقوى الأمن الداخلي، يتسلح بسلاح قوي يتلاءم مع ما يحتمل أن يواجهه من أعداء الداخل، فإذا كانت الأمة قد استعدت بالقوة لمواجهة أعدائها من الخارج، واستعدت بالقوة لمواجهة أعدائها من الداخل تحقق لها الأمن بإذن الله تعالى.

خامساً: البعد عن الظلم:

الظلم من أشد الأسباب التي تفقد الأمم أمنها واستقرارها بهلاكها وزوالها، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأمر زالت بسبب ظلمهم، فقال سبحانه: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٠]، وقال في هلاك قوم نوح: {وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [هود: 44].

وقد حرم الله تعالى الظلم على نفسه وعلى عباده، كما في الحديث القدسي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: « يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً. فلا تظالموا » (١).

كما نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الظلم، وذلك فيما رواه عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إياكم والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش والتفحش وإياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا أرحامهم وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالبخل فبخلوا » (٢).

والظلم يكون إما للنفس أو للغير، وكلاهما يستحق صاحبه الابتلاء في الدنيا في المال أو النفس أو الأهل، والعذاب في الآخرة؛ كما أنه . أي الظلم . أشد ضرراً وأنكى عاقبة في زوال الملك والولاية، وذلك بظلم الراعي لرعيته، وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) الراعي من الظلم، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولاً يوم القيامة لا يفكه إلا العدل، أو يوبقه الجور) (٣).

وكذلك جاء التحذير من إعانة الوالي على الظلم، فعن كعب بن عجرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن تسعة، فقال: « إِنَّهُ سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ مِنْ صَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظَلَمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بَوَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضُ وَمَنْ لَمْ يَصِدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يَعْنَهُمْ عَلَى ظَلَمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضُ » (٤).

قال كعب الأحمري لأبي هريرة رضي الله عنه: في التوراة من يظلم يخرّب بيته، قال أبو هريرة: وذلك في كتاب الله تعالى: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا} [النمل: 52] « (٥).

وإن ظلم الراعي لرعيته يسبب الإخلال بالأمن لإحساس المظلومين بالقهر والغلبة، فتتحرك عندهم الدوافع للحصول على حقوقهم المسلوقة منهم، وينتج عن ذلك شيء من الفوضى وعدم الاستقرار.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأدب، حديث رقم 6518.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم 5176.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم 9290.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، حديث رقم 2259.

(٥) سراج الملوك، للطروش، 123/1 .

مراجع للاستزادة

- ١ - الحسبة في الإسلام، ابن تيمية.
- ٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، البيانوني.
- ٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الحث على فعله والتحذير من تركه، سليمان العيد.
- ٤ - موقع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :
www.pv.gov.sa/Pages/default.aspx